

النظرية الخليلية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة

د. فتيحة عويقب

قسم اللغة والأدب العربي

جامعة معسكر

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى الوقوف على أهم المفاهيم الأساسية في النظرية الخليلية الحديثة التي وضعها الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح، والتي حاول صاحبها أن يربط الماضي بالحاضر من خلال تلك القواعد النحوية التي وضعها النحاة القدامى وأبرزهم الخليل بن أحمد الفراهيدي و القواعد النحوية التي احتوتها النظريات اللغوية الحديثة، وذكرنا سبب التسمية مع تبيان موقع هذه النظرية في العالم العربي.

الكلمات المفتاحية: النظرية الخليلية ; عبد الرحمن الحاج صالح ; اللغة العربية ; النحو

Abstract:

This article seeks to identify the most important basic concepts in modern Alhalilih theory developed by Dr. Abdul Rahman Al Haj Saleh, which tried its owner that connects the past with the present through those grammatical rules set by the old grammarians most notably Khalil bin Ahmed Faraaheedi grammatical rules that Ahtutea linguistic theories of modern , and we reminded us why the label indicating the location of this theory in the Arab world.

توطئة:

من بين النتائج العلمية التي أسفرت عنها جهود الباحثين اللغويين العرب، النظرية اللغوية الموسومة بـ " النظرية الخليلية الحديثة "، والتي سنحاول أن نقوم في هذا الفصل بذكر سبب تسميتها بهذا الاسم، مع ذكر صاحب هذه النظرية وتقديم ترجمة وجيزة للعالم الكبير الخليل بن أحمد الفراهيدي مع الإشارة إلى بعض أعماله اللغوية.

1- سبب التسمية:

إن المدرسة الخليلية الحديثة مدرسة تطمح إلى ربط الماضي بالحاضر، وتقتزح قراءة جديدة وتجديدية لتراثنا اللغوي العربي في ضوء النظريات والمبادئ العلمية الحديثة. ذلك لأنَّ ص النظرية الخليلية الحديثة تعتبر نفسها امتداداً لمبتشراً لنظرية النحو العربي القديمة (علم العربية) ، التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، ومن جاء بعدهما من العلماء الأفاضل مثل أبي علي الفارسي وابن جني ورضي الدين الإستراباذي¹.

والنظرية الخليلية الحديثة، نظرية جاءت بها المدرسة الخليلية الحديثة، والتي يمكن اعتبارها نظرية رياضية في قضايا اللسان العربي، وسميت بالخليلية نسبة إلى العالم الرياضي اللغوي الفذ الخليل بن أحمد الفراهيدي، ففيها عكس فكره الرياضي المبدع في تأسيس النحو العربي على معطيات رياضية لا تختمل الخطأ. فجاء البحث اللساني الحديث ليؤكد أنَّ ما توصل إليه الخليل يأخذ المنحى العلمي في الحوسبة اللغوية بكافة فروعها.

وزعيم المدرسة الخليلية الحديثة هو العالم الرياضي اللساني **عبد الرحمن الحاج صالح** *، الذي عمل على تطوير نظريات كل من الخليل، سيبويه وابن جني بناءً على ما استجد من نظريات لسانية حديثة، وما أنتج في مجال الإعلام الآلي، حيث طبق مواصفاتها على الحوسبة اللغوية التي تفرضها أنماط التعامل مع الأجهزة الحديثة.²

تجدر الإشارة هنا إلى أَنَّ الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح قدّم هذه النظرية عند مناقشته لرسالة الدكتوراه سنة

1979 بجامعة السوربون بباريس وعنوانها:

Arabe et linguistique générale. Essai de méthologie al àraliyya linguistique.

وعلى الرغم من أَنَّ الأعمال التي توصل إليها العالم اللغوي العربي الخليل بن أحمد الفراهيدي وغيره من العلماء العرب القدامى، لا تقل أهمية عن تلك الأعمال التي توصل إليها العلماء المحدثون، إلاَّ أَنَّ عبد الرحمن الحاج صالح يقف متعجباً من جهل الناس بمثل هذه الأعمال ولاسيما أهل الاختصاص من علماء اللغة المعاصرين.³

فلقد حاول عبد الرحمن الحاج صالح ولفترة طويلة تقارب الثلاثين سنة من تحليل ما وصل إلينا من تراث فيما يخص اللغة العربية، وما تركه الخليل وسيبويه وأتباعه كإبن جني وغيره ممن ينتمون إلى المدرسة الخليلية الحديثة موازاة مع ما توصلت إليه اللسانيات الغربية: فكانت نتيجة هذه الرؤية المعمقة في واقع الدراسات اللغوية القديمة، وفي ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، أن تكون مع مرور الزمن فريق من الباحثين المختصين في علوم اللسان بالمعنى الحديث.

وهدف هذا الفريق هو مواصلة ما كان قد بدأه كل من الخليل بن أحمد، وتلميذه سيبويه وأتباعهما في الدراسات اللغوية العربية القديمة. وذلك لعظمة هذه الأعمال وما تكتسيه من أهمية لخدمة اللغة العربية بصفة عامة وإبراز القيمة التي تحتلها مثل هذه الأعمال في خضم النظريات المتنوعة والمناهج العلمية المتبعة لدراسة الظواهر اللغوية، خاصة بعد انتشار دراسة اللسانيات الغربية في الدول العربية. فقد حدث أن أسفرت الدراسات التي قام بها عبد الرحمن الحاج صالح في مجال النحو العربي القديم وربطه بالدرس اللغوي الغربي أن أسس النظرية الخليلية الحديثة، والتي نحن في صدد البحث في مكوناتها.

1- المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة :

لقد تأسست النظرية الخليلية الحديثة اعتماداً على النحو العربي القديم، الذي شيده العلماء العرب، والذين تزعمهم الخليل بن أحمد، معتمدين في ذلك على جملة من المفاهيم والأسس التي يمكن من خلالها التعامل مع اللغة العربية. ومن أهم هذه المفاهيم ما يلي:⁴

✓ مفهوم الاستقامة وما إليها وما يترتب على ذلك من التفريق المطلق بين ما يرجع إلى اللفظ و بين ما هو خاص بالمعنى.

✓ مفهوم الإنفراد و الانطلاق في التحليل من هذا المفهوم.

✓ مفهوموا الموضع والعلامة العدمية.

✓ مفهوموا اللفظة والعامل.

هذا إلى جانب بعض المفاهيم الأخرى والتي يمكن التطرق إليها مع شيء من التوضيح كما يأتي:

1.1- الاستقامة وما إليها:

و المقصود بالاستقامة هي موافقة التركيب لقواعد اللغة العربية، وهنا ميّز سيبويه ومثله الخليل بين السلامة الراجعة إلى اللفظ والسلامة الخاصة بالمعنى، فأثار قضية التراكيب غير الصحيحة نحوياً وَأَنَّ هناك جملاً على الرغم من أَنَّ تركيبها

يتبع القواعد العربية، إلا أنها لا تتضمن معنى. إذ يقول سيبويه: "هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة. فمنه مستقيم حسن ومحال، ومستقيم كذب ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب".⁵

ومن خلال هذه الحالات يمكن التمييز أيضاً بين السلامة التي يقتضيها القياس والاستعمال. وأن التحليل الذي يخضع إليه التركيب يختلف بحسب النظر إلى ثنائية اللفظ والمعنى. يقول عبد الرحمن الحاج صالح في هذا السياق: "ومن ثم جاء التمييز المطلق بين اللفظ والمعنى وأعني بذلك أن اللفظ إذا جدد أو فسر باللجوء إلى اعتبارات تخص المعنى، فالتحليل هو تحليل معنوي (sémantique) لا غير. أما إذا حصل التحديد والتفسير على اللفظ نفسه دون أي اعتبار للمعنى فهو تحليل نحوي ودليلي (semiologico-grammatical)".⁶

2.1 الانفصال والابتداء:

والمراد بالانفصال ما ليس بعده شيء، والابتداء ما ليس قبله شيء، وهذا يعني أن كل وحدة يمكن الابتداء بها، والوقوف عليها حسب موقعها من الكلام. وقد ذكر صالح بلعيد ثلاثة أصناف من الوحدات في اللسان العربي هي:⁷

- وحدات يبتدئ بها فتنفصل عما قبلها ولا يوقف عليها مثل (إلى).
- وحدات لا يبتدأ بها ويوقف عليها، أي أنها تنفصل عما بعدها مثل الضمير المتصل بالإسم أو الفعل.
- وحدات يبتدأ بها فتنفصل عما قبلها، ويوقف عليها فهي منفصلة عما بعدها مثل عبارة (سعيد) في جواب سؤال: من دخل؟.

وعن هذين المفهومين يقول عبد الرحمن الحاج صالح: "فالانفصال والابتداء يمكن الباحث من استكشاف الحدود الحقيقية التي تحصل في الكلام. وبهذا ينطلق الباحث من اللفظ أولاً ولا يحتاج إلى أن يفترض أي افتراض كما يفعله التوليدون وغيرهم عندما ينطلقون من الجملة قبل تحديدها".⁸

فهذا المنطلق عبارة عن وحدة لفظية لا يحددها إلا ما يرجع إلى اللفظ، لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة. كما أن اللفظة عند النحاة يمكن أن تقبل عدداً من الزيادات يميناً ويساراً دون أن تفقد وحدتها أو دون أن تخرج عن كونها لفظة. ويسمى النحاة هذه القابلية "بالتمكن" ولاحظوا أن لهذا التمكن درجات، فهناك اسم الجنس المتصرف وهو المتمكن الأمكن ثم الممنوع من الصرف فهو المتمكن غير الأمكن ثم المبني فهو غير المتمكن ولا أمكن.⁹

ثم يعتقد الحاج صالح مقارنة بين التحليل المقدم الخاص باللفظة أو الكلمة والتحليل الموجود لدى البنيويين، فيشير إلى أن التحويل هو الذي يحدد الوحدات في النظرية الخليلية قائلاً: "ثم إن هذه النظرية لا تفصل بين المحور التركيبي و (axe syntagmatique) ومحور الاستبدالات، ولا تنظر إلى كل واحد منهما على حدة بل تجعل كل واحد منهما تابعاً للآخر بحيث تنظر إليهما معاً، أي في الأعمدة الاستبدالية في مجموعها مراعيًا الترتيب التركيبي في الحركة التفرعية التي تنقلنا من الأصل إلى الفروع والعكس. فكل هذا يكون مجموعة ذات بنية تسمى في الاصطلاح الرياضي بالزمرة (structure de groupe) وهو أمر خطير جداً- يقول الحاج صالح - إذ يمكن أن يصاغ الصياغة الرياضية التي تستلزمها الحاسبات الإلكترونية في علاج النصوص".¹⁰

وهذا دليل على أن النظرية الخليلية الحديثة تملك أبعاداً رياضية تجعلها تتميز عن غيرها من النظريات اللغوية ولا سيما الغريبة منها.

3.1- مفهوم المثال:

يذكر صالح بلعيد أن أستاذه عبد الرحمن الحاج صالح قد ترجم مصطلح "المثال" بمصطلح « schème générateur », وأنه يعتبر مفهوم اعتباري منطقي رياضي، ذلك لأنه يعدّ حداً إجرائياً تتحدد به العناصر اللغوية، حيث ترسم فيه جميع العمليات التي بها يتوَلَّد العنصر اللغوي في واقع الخطاب.¹¹ و المقصود بالمثال هو وزن الكلمة وهو مكوّن من عمليتين هما:¹²

العملية الأولى: تهتم بالحروف الأصلية للكلمة.

العملية الثانية: تهتم بالتغيرات أو الإجراءات التحويلية التي تتعرض لها الكلمة من خلال دخول الزوائد عليها أو عدم دخولها (أو ما يعرف بالعلامة العدمية في اللسانيات الحديثة) مما يؤدي إلى تغير في الأوزان.

4.1- مفهوم القياس:

يعرف القياس من قبل النحاة على أنه "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه". والقياس معظم أدلة النحو، والتعويل عليه يكون في أغلب المسائل النحوية، إذ لا يتحقق إنكاره لأنّه أغلب النحو، وإنكاره إنكار للنحو. تقول منى إلياس: "وعمداد المنهج النحوي عند الخليل وصاحبه بعد تصنيف الكلم إلى زمر فكرتان هما عمودا القياس الذي يكاد يكون لباب منهجهما، وهما فكرة العامل وفكرة الأصول والفروع وما تستتبعه من تعليل. وهذا هو قوام القياس"¹³.

وهكذا فإنّ القياس يحتل مكانة هامة في النحو العربي، إذ "هو حمل شيء على شيء لجامع بينهما، وحمل شيء في الحكم، وهذا الحكم هو الذي يسمى في المنطق الرياضي تطبيق النظر على النظر bijection وتطبيق مجموعة على مجموعة حتّى يظهر تطابق في البنية بين مجموعتين على الأقل".¹⁴

5.1- مفهوم الأصل والفرع:

بني النحو العربي في أصله على مفهوم الأصل والفرع. فالأصل عند النحاة العرب هو العنصر الثابت أو النواة، أما الفرع فهو الأصل بزيادة إيجابية أو سلبية.¹⁵

والأصل كذلك عند العرب - حسب عبد الرحمن الحاج صالح - هو "ما بين عليه ولم يبين على غيره"، والفرع هو الأصل مع زيادة أي مع شيء من التحويل. فالانتقال من الأصل إلى الفروع هو تحويل يخضع لنظام من القواعد ولا بد من التنبيه أن التفرع له مقابل وهي الحركة العكسية للتفرع وهو عند النحاة "ردّ الشيء إلى أصله".¹⁶

فمسألة الأصل والفرع - التي تعدّ عماد القياس - مسألة اهتم بها النحاة وأبرزهم الخليل، تقول منى إلياس: "والخليل في هذا كله كأنما لمح ببصيرته أن مختلف ظواهر اللغة تنتظمها خطوط خفية وهذه الخطوط الكبرى التي تشعب عنها الخطوط التي دونها هي التي جعلها أصولاً وجعل الباقي فروعاً.... وكثير من الأمور التي أخذ فيها الخليل بهذا المبدأ

جاءت مطابقة لما ثبت في الدراسات النفسية للغة، التي قامت على أصول تجريبية. فتبين أن الأسماء أقوى تمكناً في النفس والفعل، ومن ثم كانت أثبت في الحفظ من الأفعال، وهذا ما عناه الخليل بقوله إنها هي الأول¹⁷.

ومفهوم الأصل والفرع خاصة يتميز بها النحو العربي عن باقي العلوم الغربية ما عدا النظرية التوليدية والتحويلية لتشومسكي، إلا أن التحويل في هذه النظرية يقتصر على نوع واحد، وهو التحويل الذي يربط بين البنية السطحية والبنية العميقة للجملة. ويقابله في النظرية العربية ما يسمى بالتحويل التقديري.

ويرى عبد الرحمن الحاج صالح بأن "مجموع العمليات التحويلية التي تؤدي إلى نتيجة معينة تكون دائماً ما يسمى عند الرياضيين المحدثين بالزمرة (groupe)".¹⁸

6.1- مفهوم العامل:

المعلوم أن العامل عند النحاة نوعان: عامل لفظي وآخر معنوي. لكننا سنركز الحديث - في هذا العنصر - على العامل اللفظي.

يرى الحاج صالح بأن النحاة قد لاحظوا أن الزوائد على اليمين تغير اللفظ والمعنى، بل تؤثر وتتحكم في بقية التركيب كالتأثير في أواخر الكلم (الإعراب). وقد تحصلوا بذلك على مثال تحولي يتكون أيضاً من أعمدة وسطور وذلك مثل:¹⁹

Ø	زيد	قائم
إن	زيداً	قائم
كان	زيد	قائماً
حسبت	زيداً	قائماً
أعلمت عمراً	زيداً	قائماً
1	2	3

وتم تفسير هذا المثال كالآتي:

ففي العمود الأيمن يدخل عنصر قد يكون كلمة أو لفظة، بل تركيباً و له تأثير على بقية التركيب و لذلك سمي "عاملاً". فقد لاحظ النحاة أن العنصر الموجود في العمود الثاني لا يمكن بحال أن يقدم على عامله وسمي معمول أول (1م) وهو يكون مع عامله "زوجاً مرتباً" 0couple ordonné أما المعمول الثاني (2م) فقد يقدم على كل العناصر معداً إذا كان في حالة جمود العامل (مثل إن).

ولقد أشار الحاج صالح إلى خلو موضع العامل من العنصر الملفوظ بالعلامة Ø وهو ما يسميه النحاة بالابتداء.²⁰

أما بخصوص التراكيب التي تتكون من لفظة فعلية (غير ناسخة)، فإن النحاة قد اكتشفوا أن الفعل (غير الناسخ) هو بمنزلة هذه العوامل لأنه يؤثر في التركيب و أن المعمول الثاني في هذه الحالة هو المفعول به، كما أنهم أثبتوا أيضا أن موضع 1م و 2م يمكن أيضا أن تحتلها كلمة واحدة أو لفظة بل وتركيب وذلك مثل: ²¹

Ø	أن تصوموا	خير لكم
رأي	ت	زيدا
رأي	ت	ك

ولقد تبين أن هناك عناصر أخرى " تدخل و تخرج " على هذه النواة التركيبية و هي زوائد كالمفاعيل الأخرى و الحال و غيرها، و يرمز لها ب (خ) ، ولقد مثل الحاج صالح للعلاقات القائمة بين هذه الوحدات التركيبية بالصيغة الآتية: ²²

(بناء)

(وصل)

$$(ع \leftarrow 1م) \pm 2م \text{ خ}$$

كما انطلق النحاة من هذه الصيغ الأصلية للنظر في ظاهرة التداخل (emboîtement) أو enchâssement) و يسمونه بالتكرار أو الإطالة (récurtivité) و قد أورد عبد الرحمان الحاج صالح مثالا فيما يخص تداخل ع م م في نفسها و اندراجها في موضع م 2 ، و في موضع خ أيضا: ²³

ع Ø	1م	2م	خ
Ø	زيد	ع 1م 2م	ع 1م 2م
		يقول Ø ذاك	≠
سمع	ت	زيداً	يقول Ø ذاك ≠

والملاحظ أن هناك مستوى تركيب آخر، هو مستوى "التصدير" و ما فوق العامل إذ لاحظ النحاة الأوائل أن هناك أدوات تدخل على (ع، م، خ)، وهذا يعني أن هناك موضعا آخر يتجاوز هذه المواضع و أدركوا ان لهذا الموضع الصدارة المطلقة مثل أدوات الاستفهام و أدوات الشرط. كما أن بعض هذه الأدوات تأخذ أكثر من موضع مثل (هل) لأنها لا يمكن لان تقوم مقام أختها همزة الاستفهام مثل : "ألم يخرج؟" ²⁴

7.1- اللغة وضع و استعمال :

اللغة نظام من الدوال يختار منها المتعلم ما يحتاجه للتعبير عن أغراضه، و بالتالي يميز بين ما هو راجع إلى القياس، و بين ما هو راجع للاستعمال، أي إجراء اللغة في أحوال خطابية معينة بحكم أن قوانين الاستعمال غير قوانين النحو و القياس، وهذا ما تجاهله النحاة المتأخرون.²⁵

وهكذا فلكل من الموضوع والاستعمال قوانين خاصة تخضع لها، وهذا يعني أن ثنائية اللفظ والمعنى فيما يخص الوضع اللغوي تختلف عنها بالنسبة للاستعمال اللغوي. ذلك أن " اللغة قبل كل شيء وضع ثم استعمال الناطقين لها ".²⁶ ومن هنا فإن استعمال الفعل للغة يقتضي العناية بالنحو والبلاغة في آن واحد، وهذا نجد يتجسد عند الجرجاني في نظرية النظم التي دعى فيها إلى عدم الفصل بين العلمين (النحو والبلاغة).

يقول عبد الرحمن الحاج صالح في هذا المجال: " فالبلاغة في مظهرها الأول أي كعلم للمعاني هي امتداد لعلم النحو لأنها تنظر في كيفية استعمال الفرد " لمعاني النحو " وهي المعاني التي تدل عليها كل الوجوه التي يقتضيها النحو، أما في مظهرها الثاني أي كعلم للبيان (كمصطلح) فهي تنظر في التحويلات التي تربط بين المعنى الوضعي والمعنى المقصود، وهي من جنس العمليات المنطقية".²⁷

ومن هنا تتضح أهمية الربط بين النحو والبلاغة من أجل نجاح العملية التبليغية.

8.1- الموضوع والعلامة العدمية ومفهوم اللفظة:

كل كلمة في تركيب ما تحتل موضعاً معيناً، والمقصود بالمواضع التي تحتلها الكلمات هي الخانات التي تحدّد بالتحويلات التفرعية، أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيادة التدريجية، وهذه الزيادة هي نفس التحويل.²⁸ يشير عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنه ومن خلال هذه العمليات التحويلية (الزيادة) والعمليات العكسية (أي ردّ الشيء إلى أصله)، يتحدد موضع كل عنصر داخل المثال المؤلّد للفظّة بإثبات التناسب أو التناظر، وأنّ المواضع التي هي حول النواة قد تكون فارغة لأنّ الموضوع شيء، وما يحتوي عليه شيء آخر. وهذه مفاهيم رياضية محضة وهي أهم صفة يتصف بها التحويل الخليلي.²⁹

ويسمى عبد الرحمن الحاج صالح خلو الموضوع من العنصر بالعلامة العدمية (Expression zéro)، وهي التي تختفي في موضع لمقابلتها لعلامة ظاهرة في موضع آخر. وذلك كجميع العلامات التي تميّز الفروع عن أصولها.³⁰

2- موقع المدرسة الخليلية الحديثة في العالم العربي:

إنّ النظرية الخليلية الحديثة، نظرية استطاعت فرض نفسها في المجال اللغوي، خاصة بعد ما تبين أنّها تملك ميزة رياضية في تعاملها مع اللغة. وإمكانية إست غلالها الآن هي حاصلة، ذلك لأنّ:³¹

- عبد الرحمن الحاج صالح يعتقد أنّه لا توجد لغاية الآن نظرية توازي النظرية الخليلية الحديثة على ما هي عليه ما عدا النظرية التوليدية التحويلية، التي تجاوزت التقطيع والتصنيف الساذج وذلك راجع إلى استفادة تشومسكي من دراسته للغة العبرية.

- كما أَنَّ الحاج صالح إختبر هذه النظرية عند صياغتها الصياغة الرياضية، ومن ثمَّ تشكيلها بالشكل الخوارزمي (algorithmique) حتَّى يمكن استعمالها على الرّتاب (الحاسب الإلكتروني) ، بالإضافة إلى استغلالها في الاكتشاف الآلي لصيغ العربية الافرادية والتركيبية.

- فقد وجدت النظرية الخليلية الحديثة اهتماماً مميّزاً من قبل الباحثين اللغويين، والدليل على ذلك أَنّه قدمت رسائل ماجستير في معهد العلوم اللسانية والصوتية بالجزائر. وهناك أبحاث كثيرة جارية في هذا المجال، تحاول استغلال المفاهيم العربية للوصول إلى استكشاف آلي أكثر نجاعة مما هو عليه في بلدان العالم العربي.

وهذا جزء من الأعمال التي يسعى الباحثون - الذين ينتمون إلى المدرسة الخليلية الحديثة- إلى تحقيقها، مع العلم أَنّه ليس بالضرورة أن يكون هؤلاء الباحثين من الأتباع المقلدين للعلماء القدامى، بل قد يكون منهم من يعتمد في بحوثه على أفكار ومفاهيم ومناهج غير التي جاءت بها النظرية الخليلية الحديثة. إلّا أَنّه لا يتجاهلها ويعتدّ بها في كثير من الأحيان.

و يقول عبد الرحمن الحاج صالح عن هؤلاء الباحثين: " فنظرنا إلى هؤلاء العلماء هي نظرة المتطلع الذي لا يريد أن يفلت عنه أي اتجاه وأي نظرة وأي نوع من التحليل بل ولا يحكم على أي منها إلّا بعد النظر المعن والتمحيص المتواصل".³²

والسبب الذي جعل الناس لا ينتبهون إلى ما في بطون الكتب القديمة التي ألفها علماءنا الأجلاء في مختلف علوم اللغة هو " استغلاق محتواها عليهم إذ يسقطون عليها أولاً المفاهيم و المفاهيم والتصورات التي تبلورت (وجمّدت) في عهد الانحطاط الفكري العربي الإسلامي".³³

أما عن مكانة هذه النزعة من النزعات الأخرى في العالم العربي، فيرى الحاج صالح أنّها تتوسط بين اتجاهين:³⁴

- الاتجاه الأول: يتجاهل اللسانيات الحديثة معتمداً على المفاهيم اللغوية المستعملة من قبل المتأخرين، مع الخلط بين المفاهيم العربية الأصيلة ومفاهيم هؤلاء المتأخرين.

- الاتجاه الثاني: وهو عكس الاتجاه الأول، فهو يتجاهل التراث العربي وأصحابه يقنعون بأنّه تراث تجاوزه الزمان، ولا بد إذن من التجديد ذلك لأن التراث - في نظرهم - لا يقع في كفة واحدة مع ما تقدمه اللسانيات الغربية. إلّا أَنّ انجذاب علماء هاذين الاتجاهين كل حول أفكار معينة وحجج يرونها مقنعة من أجل التمسك بمبادئهم، إلّا أن هذا لم يمنع من بروز مجموعة من العلماء الذين استطاعوا أن يحققوا أعمالاً يجدر التنويه بها، كتحقيقهم المتقن للمخطوطات وتعليقاتهم عليها. وأبرزهم المحققين لكتاب سيبويه (طبعة بولاق). وحتّى تلك الأعمال الجليّة التي قامت بها المجامع اللغوية العربية.³⁵

وفي كلا الاتجاهين ظهرت زمرة من العلماء الباحثين العرب الذين استطاعوا فهم المدارس اللسانية الحديثة، من خلال تتلمذهم على يد مشايخ اللسانيات في الغرب، مما أدى إلى اختلاف مشاربهم العلمية، وبالتالي الاستفادة من هذا الكم الهائل من العوم المختلفة، وقد ساعدهم هذا على تجاوز الاقتباس السلبي والتقليد. كما اجتهد هؤلاء العلماء بالتعريف بهذه المدارس إلى المثقف العربي.

ولعل أقدم مدرسة استقى منها المحدثون معلوماتهم هي المدرسة الإنجليزية التي تزعمها فيرث في سنوات الأربعينات والخمسينات، والتي تميزت بمنهجها الوصفي إلى جانب المدرسة البنيوية. وبعد هذا الجيل جاء جيل آخر من أهل المغرب تبني مبادئ المدرسة البنيوية وذلك عن طريق مدرسة أندري مارتيني التي تمثل النزعة الفرنسية للبنيوية. ثم ظهرت المدرسة التوليدية الأمريكية بأفكارها الجديدة، وبطريقة تختلف عن سابقتها في التعامل مع اللغة. ومن ثم ظهرت نظرية الخطاب في أوروبا، كما ظهرت اللسانيات التطبيقية التي ارتاح لظهورها العالم الثالث نظراً إلى المشاكل الإنمائية العويصة التي يعانيها.³⁶ ثم جاءت المدرسة الخليلية الحديثة التي نالت اهتماماً بالغاً من قبل أهل الاختصاص خاصة لما شهدته من استعمال التكنولوجيا في البحوث اللغوية ولاسيما التطبيقية منها.

ولقد أشار عبد الرحمن الحاج صالح إلى أنه "هناك أعمال كبيرة تنجز الآن في البلدان العربية في هذا الميدان كأعمال الأستاذ الأخضر غزال في المملكة المغربية وأعمال معهد العلوم اللسانية بالجزائر وأعمال الباحثين في دولة الكويت وغيرها".³⁷ وهذا بغض النظر عن المقالات والأبحاث والدراسات العلمية الهامة التي تصدرها البلدان العربية.

إنّ المفاهيم والمبادئ التي تأسست عليها المدرسة الخليلية الحديثة هي التي جعلت منها مدرسة بارزة تشهد شهرة كما شهدتها المدارس اللغوية الحديثة في الغرب، فهي تملك خصوصيات رياضية تتماشى مع ما تعرفه التكنولوجيا حالياً، وهذا ما جعلها تحتل مكانة هامة في العالم العربي. وذلك يظهر من خلال اهتمام العلماء بالبحث في مضامينها والاستفادة منها من أجل إحياء التراث اللغوي القديم وتسخيروه لخدمة اللغة العربية.

الهوامش:

- ¹ - خولة طالب الإبراهيمي: مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص 135.
- ² - صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، دار هومه، الجزائر، 2003، ص 106.
- ³ - عبد الرحمن الحاج صالح: مقال "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي"، تقدم اللسانيات في الأفطار العربية، وقائع ندوة جهوية، أبريل 1997، الرباط، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1991، ص 367.
- ⁴ - المرجع نفسه: ص 378.
- ⁵ - سيبويه: الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط 2، 1977، ج 1، ص 25-26.
- ⁶ - عبد الرحمن الحاج صالح: مقال "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي"، ص 379.
- ⁷ - صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص 107.
- ⁸ - عبد الرحمن الحاج صالح: مقال "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي" ص 380.
- ⁹ - المرجع نفسه: ص 380.
- ¹⁰ - المرجع نفسه: ص 382.
- ¹¹ - صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص 108.
- ¹² - المرجع نفسه: ص 108-109.
- ¹³ - منى إلياس: القياس في النحو، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1985، ص 25.
- ¹⁴ - صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص 109.
- ¹⁵ - المرجع نفسه: ص 110.
- ¹⁶ - عبد الرحمن الحاج صالح: مقال "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي"، ص 377-378.
- ¹⁷ - منى إلياس: القياس في النحو، ص 35.
- ¹⁸ - عبد الرحمن الحاج صالح: مقال "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي"، ص 384.
- ¹⁹ - المرجع نفسه: ص 384.
- ²⁰ - المرجع نفسه: ص 385.

- ²¹ - المرجع نفسه: ص 386 .
- ²² - المرجع نفسه: ص 386 .
- ²³ - المرجع نفسه: ص 386 .
- ²⁴ - المرجع نفسه: ص 386 .
- ²⁵ - صالح بلعيد: اللغة العربية العلمية، ص 106-107 .
- ²⁶ - المرجع نفسه: ص 107 .
- ²⁷ - عبد الرحمن الحاج صالح: مقال "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي" ، ص 383 .
- ²⁸ - المرجع نفسه: ص 383 .
- ²⁹ - المرجع نفسه: ص 383 .
- ³⁰ - عبد الرحمن الحاج صالح: مقال "المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي" ، ص 383 .
- ³¹ - المرجع نفسه: ص 388 .
- ³² - المرجع نفسه: ص 389 .
- ³³ - المرجع نفسه: ص 388 .
- ³⁴ - المرجع نفسه: ص 389-390 .
- ³⁵ - المرجع نفسه: ص 390 .
- ³⁶ - المرجع نفسه: ص 391 .
- ³⁷ - المرجع نفسه: ص 391 .